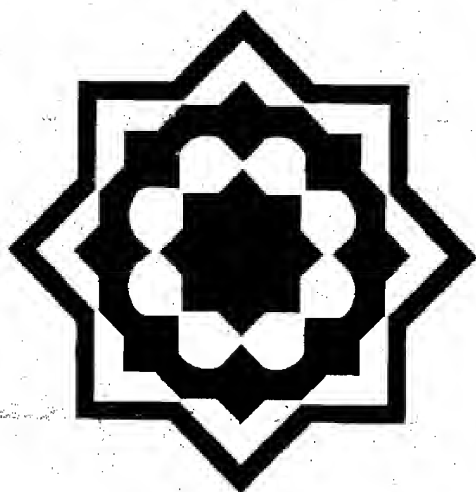
الليبرالية وآفاقها المستقبلية

د. جبار علي عبد الله جمال الدين
كلية القانون ـ جامعة الكوفة





المقدمة

في البداية لا بد من توافر شروط موضوعية معينة في أي مجتمع لنجاح أي حركة فكرية أو سياسية والفلسفة الليبرالية ليست استثناءً ، إن حجر الزاوية في الفلسفة الليبرالية هو التأكيد على حرية الفرد وحقه في الاختيار ، مع احترام حقوق وحريات الآخرين ، والجدير بالذكر إن الليبرالية حاجة ضرورية لمجتمع بلغ مستوى متقدماً من الرقي الحضاري ، وهذا يعني أنها ليست من أوليات متطلبات المجتمع الذي لم يصل بعد إلى إشباع حاجته الأساسية (Basic needs) .

والسؤال الذي يطرح نفسه هل إن الحضارة البشرية لا يمكنها الاستمرار والازدهار إلا في ظل الليبرالية ، كما ترى ذلك تيارات فكرية عديدة في الغرب ؟

إن الحقيقة هي خلاف ذلك لأن الذي أعطى الليبرالية هذا المدى العالمي هو لحظة أو فرصة تاريخية استغلتها أيما استغلال ٠ وعموماً إذا كانت المجتمعات البشرية عاشت في ظل محطات حضارية مختلفة ، فهل ستكون تجربة الحضارة الليبرالية هي التجربة الإنسانية النهائية ٠ وقد اقتضت الضرورة البحثية أن نقسم بحثنا هذا إلى الفقرات التالية :

١_ في معنى (المستقبلية) أو علم المستقبل .
٢_ مناهج الدراسات المستقبلية .
٣_ الليبرالية وديناميات الاستمرار التاريخي .
٤_ الليبرالية والانكفاء المستقبلي .

١- في معنى (المستقبلية) و (علم المستقبل) :

إن حياة البشر وتاريخ كل مجتمع عبارة عن جوهر تتداخل في إطاره الأحداث ، وتمتد الظواهر وتتشابك وتتفاعل عبر علاقة الإنسان بالزمن الذي يتميز بخاصية الاندفاع الدائم نحو مستقبل غير منظور وغير متناه يحكمه قانون أساسي هو قانون التغير أو الصيرورة ، ويقضي هذا القانون بكل حسم بان الماضي يستحيل أن يكون حاضرا أو مستقبلا وذلك خلافا للمستقبل الذي يتحول بطبيعته إلى حاضر ثم ماضي٠ ومن المعروف أن الزمن يكتسب صفة النسبية من واقع صلته بالمكان والحركة ٠٠فالمستقبل هو الحصيلة المتراكمة للأحداث والتغيرات النابعة من المجتمع أو الوافدة عليه٠ "١"

فالإنسان هو كائن مستقبلي٠ انه الكائن الوحيد الذي يعي وجوده ويعيه وجودا زمانيا٠ ووعيه وجوده الزماني وعي لماضي وحاضر ومستقبل٠ والتاريخ هو تحقيق الإنسان في الزمان والمكان٠ والتاريخ صيرورة خلاقة متجددة٠٠ فالماضي والحاضر هما الحركة الموصلة للمستقبل٠ "٢"

يرجع تاريخ الاهتمام بالمستقبل إلى البدايات الأولى للتطلع البشري إلى المعرفة الشاملة بالكون وكشف غوامضه وأسراره وفي مقدمتها الزمن ، وذلك بهدف السيطرة على حركته والتحكم في مساره٠ ويمكن تبيين ذلك بوضوح في التراث الأسطوري والديني للبشرية حيث توجد الجذور الأولى لعلم المستقبل في صور وأشكال متباينة٠ وحقيقة الأمر أن إقبال المفكرين والمؤرخين على دراسة التاريخ كان يحمل دوما الرغبة الخفية في محاولة استكشاف المستقبل٠ وكان للشعراء والأنبياء دور خاص في هذا المضمار ، ويكفي للتدليل على ذلك أن نشير إلى شعراء الملاحم (هوميروس) و (جلجامش) ، ومؤلفي (المثاليات أو اليوتوبيات) كأفلاطون وتوماس مور ، وأنبياء العهد القديم كارميا واشعيا وحزقيال ٠٠ فظواهر العرافة والكهانة في معبد دلفي باليونان القديمة والتنجيم الذي تميزت به الحضارات القديمة في مصر وبابل والهند تدل على الاهتمام المبكر الذي أولته البشرية منذ أقدم العصور لمحاولة استطلاع المستقبل وفهم خساراته٠ إلا أن المستقبل لم يسبق له أن اعتبر (علما) إلا في العصور الحديثة ، وفي بدايات القرن العشرين على وجه التحديد٠٠



ومن سمات علم المستقبل اعتماده بصورة أساسية على العقل مقترنا بالخيال والعاطفة والحدس.. ومن سمات التفكير المستقبلي وعي المشتغلين به وعيا تاما بأهمية الزمن ، فهم يدركون أن لمشكلات اليوم جذورا في الماضي وان تلك المشكلات لا تنشأ بين يوم وليلة وإنما تتكون تدريجيا وبـصـورة لا يلحظها غالبا الإنسان العادي. "٣"

إن الدراسات المستقبلية لم تكتسب معناها الاصطلاحي إلا في أوائل القرن العشرين على يد عالم الاجتماع (س.كولم جيلفان) الذي اقترح عام ١٩٠٧م إطلاق اسم (ميلونتولـوجي) علـى حقـل الدراسات المستقبلية ، وهي كلمة ذات أصل يوناني معناها أحداث المستقبل ، لكنها لم تحظ بالانتـشار أو القبول في الأوساط العلمية ولذلك طواها النسيان. "٤"

وفي عام ١٩٤٩م ابتكر المؤرخ الألماني (فليشتايم Ossip K.. Flechteim) مـصطلح ((علم المستقبل Futurology))ليشير به إلى علم جديد. وقد دشن كتابة (التـاريخ وعلـم المـستقبل History and Futurology) ، والصادر في لندن عام ١٩٦٥م ، عملية تطبيق واسعة لهذا العلم ، تستهدف التنبؤ البعيد المدى ، ليس في حقول السياسة والسوسيولوجيا والاقتصاد فحسب ، وإنما فـي مجال علم البيئة أيضا (Ecology). "٥"

أما الاصطلاح الفرنسي لعلم المستقبل فهو (Prospective) الذي ابتكره (جاستون برجيـه) عالم المستقبليات الفرنسي."٦"

ومن الملاحظ أن (فليشتايم) يميل إلى اعتبار (علم المستقبل) فرعا من علم الاجتماع وشبيها بعلـم الاجتماع التاريخي ، وذلك رغم الاختلاف الأساسي بينهما ، فعلم المستقبل يستشرف أحـداث الـزمن الآتي مستهدفا تحديد مدى احتمال وقوعها . وبهذا يتحدد موقع (علم المـستقبل) خـارج دائـرة العلوم البحتة كالرياضيات التي ينتظر فيها أن توصلنا إلى نتائج يقينية . فهو في الواقع علم يتنـاول الأحداث التي لم تقع بعد ، ويشير الى الفترات الزمنية التي لم تحل بعد ، وعندما تحل سوف تـصبح حاضرا ، فالمستقبل لا يوجد إلا في الذهن والخيال والخطط التي ترسـمها لـه ، وان كـان هنـاك إرهاصات له فهي غير مؤكدة.. ومصطلح (علم المستقبل) انتشر في الدول الغربية وفـي معظـم الكتابات المستقبلية في العالم الثالث. وقد ارتبط تاريخيا بالتبشير بمستقبل التكنولوجيا وتأثيرها الحاسم في تحديد

صورة المستقبل بالنسبة للعالم ككل . وهو يعني التبشير الجزئي بـبعض جوانـب المـستقبل. أمـا اصطلاح (التكهن Prognosis) فقد شاع استخدامه في الدول الاشتراكية (السابقة) التي تعتمد على التخطيط المركزي. "٧"

فمن الضروري أن نميز بين مصطلح (علم المستقبل) وبين مصطلح (المـستقبلية Futurism). ذلك أن الترجمة العربية للمصطلح الأول كثيرا ما تختلط بترجمة المصطلح الثاني عندما يـشترك المصطلحان خطأ بترجمة عربية واحدة هي (المستقبلية) التي تشير الى حركة فنية ظهرت مع بيان مارينيتي (المانيفستو المستقبلي) ، وأصبحت في عام ١٩٢٢م جزءا من الايديولوجيا الرسمية لايطاليا الفاشية . وكان من ابرز معالم (المستقبلية) الإصرار على الدينامية وعبادة السرعة والآلة ورفـض المستقبل وتمجيد الروح الوطنية ونزعت الحرب. ولم تقتصر المستقبلية على الفن التشكيلي ، وإنمـا تعدته إلى الأدب والموسيقى. "٨"

هناك مجموعة من العوامل الموضوعية أسهمت بشكل فاعل في بروز (علم المستقبل) ، تمثلت في : "٩"

أولا:- الرصيد المعرفي الهائل الذي أصبح متوافرا لدى الباحثين وعلى الأخص المعنيين بالدراسـات المستقبلية ، وذلك كنتاج طبيعي للثورة الكمية والكيفية التي حدثت في نطاق المعرفة العلمية في القرن العشرين .

ثانيا:- التغيرات الكيفية الملحوظة التي طرأت على أساليب معالجة المعلومات التـي تجـسدت فـي التطور الهائل الذي شهدته صناعة أو تكنولوجيا المعلومات متمثلا في ذلك التلاقي بين تكنولوجيـات



الحاسبات الالكترونية من ناحية ، والاتصالات من ناحية أخرى ، مما ترتب عليه ازدياد الدور الذي يقوم به الكمبيوتر في مجال البحوث والإدارة وتخزين المعلومات مما لم يكن متوافرا من قبل.

ثالثا:- بروز علم رياضي جديد هو علم تحليل النظم ، وهو فرع من فروع الرياضيات فظهرت بداياته الأولى خلال الحرب العالمية الثانية ، وان كان قد أحرز تقدماً ملموسا خصوصا بعد استخدام الكمبيوتر الذي أسهم في تطور هذا العلم ، وشجع على استخداماته في مجال العلوم الاجتماعية وخصوصا فروع الاقتصاد والسياسة والادارة. وقد أسهم ذلك في دفع الدراسات المستقبلية خطوات كثيرة الى الأمام خصوصا على المستوى النظري والمنهجي. ومن ثم أتيح للعلماء والدارسين في مجال المستقبليات إمكانية الاستفادة الكاملة بكل ما يتيحه هذا العلم من الاستعانة بأحدث أساليب التحليل الإحصائي للجزئيات في إطار تكاملي مترابط.

ومع تعقد مجمل النسق السياسي والاجتماعي الاقتصادي وزيادة عدم اليقين المستقبلي ، تبرز مجموعة من الاختلافات تتعلق بالمصطلحات والمفاهيم التي يدور حولها علم المستقبل مثل : "١٠" التخطيط طويل المدى ، النبوات ، الإسقاط ، الاستشراف .

فالمقصود بالتخطيط طويل المدى هو التدخل الواعي لإعادة صياغة الهياكل الاقتصادية والاجتماعية من خلال مجموعة من السياسات المتكاملة والمتاحة لسلطة مركزية تملك إمكانيات التطبيق الفعلي من متابعة وإدارة وتنفيذ. ولذلك فان التخطيط طويل المدى تم إتباعه في النظم الاشتراكية (السابقة) .

أما النبوات فهي تسند الى الفكرة القائلة بان المستقبل أمر محدد مسبقا والمطلوب هو الكشف عنه فقط ، فالنبوات اقرب الى مجال الممارسات الفردية .

وبالنسبة إلى مجال الإسقاط أو (الإخفاء Projection) فهو يستخدم للإشارة إلى الدراسات التي تركز على المدى الزمني القصير لاستخلاص الاتجاهات العامة والعلاقات الكمية المستقاة من متابعة ماضي الظاهرة المدروسة .

أما استشراف المستقبل فهو يعني انه اجتهاد علمي منظم يرمي الى صوغ مجموعة من (التنبؤات المشروطة) التي تشمل المعالم الرئيسية لمجتمع ما أو مجموعة من المجتمعات وعبر فترة زمنية لا تزيد عن عشرين عاما. واستشراف أبعاد المستقبل أمر لا علاقة له بالرجم أو التكهن فهو يعتمد على أساليب الاستشراف العلمي التي تقوم على فهم الماضي والحاضر والعوامل المختلفة التي أدت اليها. لذلك فان الاستشراف العلمي لأبعاد المستقبل يتوقف على كم ونوع المعرفة العلمية المتوافرة عن الواقع.

ويمكن أن نميز في علم (المستقبل) ثلاثة مستويات لاستشرافه : "١١"

المستوى الأول :- ويتصل بفعالية (التخمين CONJECTURE) أي التأمل المنظم تنظيما عقليا يجعل الباحث يتجه اتجاها معينا في البحث.

المستوى الثاني :- ويتعلق بفعالية (التنبؤ Forecast) التي تأخذ بعين الاعتبار الاحتمالات الخاصة بتواتر وقوع حادثة معينة لتحقيق درجة معينة من استشراف المستقبل.

المستوى الثالث:- وهو أقوى المستويات الخاصة باستشراف المستقبل. ويتصل بفعالية (النبوء Prediction) . هذا المستوى يتوق الى تشخيص حادثة معينة والتوصل الى نتائج محددة بصددها ، قبل أن تستنفد الحادثة سياقها.

ويتفق معظم الدارسين على أن الباحث لا يمكن أن يضع قواعد خاصة بالنبوؤة . وهذا ما يجعل الكثير من العاملين في مجال (علم المستقبل) يشككون كثيرا في مسألة اعتبار هذا (العلم) علما بقدر ما يرفضون كونه علما جديدا.



ويعتبر كتاب (عقم المذهب التاريخي) الصادر في لندن عام ١٩٥٧م ، للفيلسوف البريطاني النمساوي (كارل بوبر) ، ذو صلة مباشرة (بعلم المستقبل) دون أن يطلق عليه هذا الاسم الاصطلاحي ٠

ولم يظهر اصطلاح (سوسيولوجيا المستقبل Sociology of Future) الذي يشغل الموقع المركزي في (علم المستقبل) إلا عام ١٩٦٩م٠ عندما أصبح الأمريكي (ألفن توفلر) أستاذاً في المدرسة الجديدة الخاصة بالأبحاث الاجتماعية في امريكا٠ فمع صدور كتابه (صدمة المستقبل Future Shock) عام ١٩٧٠م ، اعتبر الباحثون إن هذه الدراسة هي الأولى من نوعها في مجال (سوسيولوجيا المستقبل)٠ "١٢"

فالمستقبلية بعد أن كانت في البدء محصورة في الميدان الاقتصادي ومستهدفة فقط الأجل القصير ، أصبحت جهود تحديد المستقبل ، منذ بضع سنوات ، أكثر طموحا بكثير٠ فهي تميل اليوم الى تناول جميع الميادين وتستهدف الأجل الطويل٠٠ فالمستقبلية قد انطلقت من الولايات المتحدة عند نهاية الحرب العالمية الثانية ، وذلك أساساً لخدمة أهداف عسكرية٠ وتطورت في فرنسا مع (برجيه) ابتداء من عام ١٩٥٧م وفق توجه فلسفي٠ ثم مع (برتراند دي جوفنيل) بصورة أكثر إعداداً٠ إن نمو الاهتمام بالمستقبل جاء من واقع ملموس ظهر فيه : من جهة ، التسلح النووي ، التفجر السكاني ، التشويه شبه المأساوي للبيئة ، انحطاط التراث الوراثي ، التلاعب البيولوجي والسيكولوجي بالكائن البشري ، استئثار عدد قليل بالسلطة والطابع التكنوقراطي المتزايد لهذه الأخيرة ، ومن جهة أخرى ، تحرير الأعمال الشاقة بفضل التقنية ، التغلب على الأمراض ، رفع مستوى المعيشة ، زيادة أوقات الفراغ ، الاستغلال الأفضل للطبيعة ، تعميم الاتصال بين البشر ، وبصورة أعم التنمية النوعية للوجود أو الطاقات البشرية٠ "١٣"

ويتاح المستقبل للإنسان على ثلاثة أشكال شديدة الترابط ، بلا ريب ، إنما يقضي تمييزها : "١٤"

_ مستقبل محتوم منبثق من الحتميات التي ينبغي أن نخضع لها٠
_ مستقبل صدفوي ، غير متوقع كلياً ٠
_ مستقبل حر ، ينبغي بناؤه ٠

وبقدر ما أن هناك جزءاً من المسارات المستقبلية ((حراً طليقاً مفتوحاً لكافة الاحتمالات والمفاجآت ، فهناك كذلك جانب من المستقبل(مرهون سلفاً Cometted) ، بفعل الموروثات والقيود الإستراتيجية التي تثقل كاهل الحركة والفعل المستقبلي ، ولذا فان عملية (التفاوض مع المستقبل Negotiating the Future) هي رهان دائم لزحزحة وكسر القيود التي تشل حركة المستقبل ، دون القفز فوق الواقع الذي يحدد نقاط البدء في السباق نحو المستقبل٠ واستشراف المستقبل هو جهد استطلاعي بالأساس ، يتسع لرؤى مستقبلية متباينة ، ويسعى لاستكشاف أو تكشف العلاقات المستقبلية بين الأشياء والنظم والأنساق الكلية والفرعية في عالم يموج بالحركة ويتصف بازدياد درجة (عدم اليقين) ، ولذا يمكن تشبيه (النظرة الاستشرافية) بالوقوف على ربوة عالية لاستطلاع آفاق المستقبل المنظور ، كل بحسب ما يسمح به بصره وبصيرته٠ فالجهد الاستشرافي المستقبلي هو نوع من (الحدس التاريخي) المستند الى قاعدة علمية ٠ "١٥"

إن المستقبلية بسعيها في نطاق الممكن الى استكشاف المستقبل في معطيات الحاضر ، قد دُفعت الى الاهتمام بفئتين من الوقائع : "١٦"

الاتجاهات الكبيرة ، والأحداث المنبئة بالمستقبل٠

فالاتجاهات الكبيرة تتكون من مجموع المعطيات التي تبدو محتمة ومتوقعة للتطورات المستقبلية ، مع احتمال ضئيل بالخطأ : نمو سكاني ، معدل التقدم التقني ، التمدين ، استمرار بعض القواعد القانونية ، بعض عادات العيش والتقاليد الثقافية ، الأيديولوجية والدينية ٠



أما الأحداث المنبئة بالمستقبل ، التي لا تكون أكثر الأحيان ممكنة الإدراك ، فلا تشكل سوى وقائع محتملة سرعان ما تتأكد أهميتها وتكون لها انعكاسات عميقة وواسعة. وهكذا هي حال الاختراعات الحديثة ، كاختراع الليزر أو ظهور فئات اجتماعية هامشية ، كالهيبيز مثلاً ،أو إدخال التعليم المبرمج. ومن ناحية نطاق الميدان المقصود ، يظهر استكشاف المستقبل بمظهرين مغايرين تماماً : "١٧"

_ مستقبلية شاملة تطال كل المستقبل ، أي الإنسانية بأسرها ، وجميع عناصر الحياة والنشاط الإنساني .

_ وتنبؤات خاصة محصورة إما بأحد هذه العناصر وإما بأمة واحدة.

ومنذ بضع سنوات ، حدث تبدل بارز ، خاصة في أوربا ، مع ظهور أعمال التشيكو سلوفاكي (رادوفان ريشتا) ، وعدة فرق فرنسية. فالمستقبلية الاجتماعية ومستقبلية القيم تتخذان أهمية متزايدة تسهم في منح المستقبلية الشاملة بعدا أوسع وأكثر توازنا.. إن الأزمات الحديثة التي عاناها الشباب ، أو التي عانتها الكنائس ، وبصورة أعم الأبحاث المتزايدة حول المجتمع قد أظهرت أن عددا من البنن والتصرفات معرض لتغيرات عميقة. ونعني بها مؤسسات الحكم والإدارة والعمل والتعليم ومفهوم السلطة والعائلة ونمط الحياة. يضاف الى ذلك أن التعدديات الاجتماعية والثقافية والأيديولوجية ، والتوترات والنزاعات الناجمة عنها ، التي أحملتها بصورة شبه كاملة أولى أعمال المستقبلية ، قد وضعت اليوم في المقام الأول بين عوامل تطور الحضارة الغربية. "١٨"

إن وضع ومادة (المستقبلية) يطرحان أيضاً السؤال الأعم والأهم حول علاقاتها بالتاريخ. ويبدو أن هناك وجهتي نظر متعارفتين في هذا الصدد : "١٩"

الأولى ترى في المستقبل متابعة للماضي.

بينما ترى الثانية فيه رفضا له.

وفي الواقع ، إن المستقبل هو الاثنان معا. بلا شك ، لتحديد المستقبل ينبغي تركيز الاهتمام خاصة على المستحدثات التي يقدمها. لقد نصح (برجيه) بحق ما بالإقلاع عن الاتجاه التقليدي الذي يعتبر المستقبل امتدادا للماضي. لكن ، لنضع المستقبل ، هل يمكن المطالبة بالتحرر كلياً عن الماضي؟ كلا..

والواقع أن ((علم المستقبل)) أو (الوعي بالزمن القادم في عمليات التغيير) مسألة نصت عليها وثائق الإسلام الأساسية وروحه ، بل أن في هذه الأصول الإسلامية ما يقضي بضرورة أعمال هذا الوعي واحترامه. منها : "٢٠"

_ قصة النبي يوسف (عليه السلام) ومعاني التخطيط للمستقبل .

_ فكرة المتغيرات في الآية القرآنية ((وتلك الأيام نداولها بين الناس)). سورة آل عمران ، الآية ١٤٠ .

_ الإفادة بضرورة استحضار المدى الطويل عند التخطيط في الدنيا ، استناداً الى الحديث النبوي الشريف ((اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً)) .

_ دعوة الله _سبحانه_ الدائمة الى (التدبر) و (التدبير) والأخذ بأسباب الحذر والاحتياط ، وأولها (العلم) و (الحساب) و (تقدير القوى) و (النظر الشامل) .

_ الإفادة بفداحة ما يمكن أن يصيب قوماً أسقطوا (المستقبل) من حسابهم ، وذلك في قوله تعالى ((فاليوم ننساهم كما نسو لقاء يومهم هذا)). سورة الأعراف ، الآية ٥١ .

إن الطموح بامتلاك وعي متقدم للتنبؤ السياسي يعلمنا انه (لدى النظر في أية ظاهرة اجتماعية من خلال سيرورة تطورها يجد المرء دائماً فيها بقايا من الماضي وأسساً من الحاضر وبذوراً من المستقبل).. ولو عكسنا هذا الفهم وصببناه على سيرورة الظاهرة السياسية أو التطور أو الحدث السياسي لبلورة (مبادئ) توقع سياسي نرى (أن _سر_ من التوقع يكمن في المقدرة على إدراك تكرار الظاهرات في مسيرة الطبيعة والمجتمع ، أي للكشف عن نواميس سيرورة كل منها ، وبالفعل متى عرفنا أن ظاهرة ما تتكرر على فترات وضمن شروط معينة ، بات بوسعنا أن نتنبأ على نحو أكيد



نوعاً ما بعودة هذه الظاهرة ضمن شروط مماثلة)٠ فالتوقع السياسي قوامه إذن الحصول على المعلومات للظاهرة ، أي رسم صورة ذهنية عنها وعن سير عملها وتوجهاتها ونزعات مسيرها في مختلف مراحل المستقبل٠ "٢١"

إن السعي لإيجاد تنبؤ سياسي متقدم لينبغي أن ينتظم في مستويين ، هما : "٢٢"

١_ المستوى العمودي ٠

٢_ المستوى الافقي٠

فالعمودي يشتمل التمعن في رصد ودراسة وتحليل الواقعة السياسية والعوامل الأخرى المؤثرة (زمنياً ومكانياً) سلبياً وايجابياً في اتجاهات سيرورتها ولمجمل سياسات توازن القوى السائدة في الوقت المعين ، إذ لا يمكن اعتقاد منهج في تحليل سلوك وتعرف سياسة في عقدي الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين بين دولتين أو أكثر بدون الأخذ بمجمل التغيرات التي حدثت في هيكلية النظام الدولي وبدون تطوير الكثير الكثير من أنماط التعامل مع متغيرات السياسة الدولية٠٠ ثم إن هناك فرقاً بين احتمال تغير وتغير فعلي ، ذلك أن إمكانية انتقال نظام سياسي من حالة نوعية الى أخرى هي شيء والانتقال الفعلي هو شيء آخر ٠

أما المستوى الأفقي فيعتمد على الامتداد المعرفي الى مختلف فروع المعرفة الأخرى وامتصاص ما انتهت إليه من طرائق بحث وخلاصات وتهيئتها وتوظيفها للوصول الى تنبؤ معين ٠ وبهذا فإن توظيف نتائج كل حقل توقعي في هذه العلوم في خدمة التوقع السياسي سوف يأتي أكله بشكل ملفت للنظر ٠

إن (ممارسة) التوقع السياسي بهذا الشكل لا ينبغي أن يكون وليد ضرورة استثنائية ، بل يجب (أن يتسم بطابع الاستمرار ، واستمرارية التنبؤ الاجتماعي / السياسي يعني انه لا يصح في أية مرحلة من المراحل اعتبار المسيرة الاجتماعية منتهية وبالتالي اعتبار التوقع العائد لها منتهياً)٠

ويمكن تقسيم المستقبل الى خمس فترات زمنية ، وفقاً لتصنيف مينسوتا الأمريكي ، هي : "٢٣"

١_ المستقبل المباشر ، ويمتد من عام إلى عامين منذ اللحظة الراهنة ٠

٢_ المستقبل القريب ، ويمتد من عام إلى خمسة أعوام ٠

٣_ المستقبل المتوسط ، ويمتد من خمسة أعوام إلى عشرين عاماً ٠

٤_ المستقبل البعيد ، ويمتد من عشرين عاماً من الآن الى خمسين عاماً ٠

٥_ المستقبل غير المنظور ، ويمتد من الآن الى ما بعد خمسين عاماً أو أكثر ٠

إن هناك مقولة لأحد العلماء الاجتماعيين الأمريكان صرّحت بان (الشباب اشد اهتماماً بالمستقبل البعيد٠ والشيوخ اشد قلقاً على المستقبل القريب٠ ولكن الآباء شباباً وشيوخاً مهتمون بمستقبل أبنائهم القريب والبعيد) ٠ "٢٤"

٢_ مناهج الدراسات المستقبلية :

من المعروف أن (المنهج) هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم المختلفة ، وذلك عن طريق جملة من القواعد العامة التي تسيطر على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة مقبولة ومعلومة ٠ "٢٥"

لقد عكف الباحثون في قضايا الدراسات المستقبلية على تصميم وتركيب ما سمّي بـ((سيناريوهات المستقبل)) ، هي أشبه ما تكون بـ((المشاهد المسرحية)) التي يرفع عنها الستار٠٠ وتحمل في داخلها ديناميكيتها الذاتية٠٠ ويكون هدفها استثارة الفكر أو التأمل حول قضايا وهموم المستقبل من خلال تلك المشاهد أو المسارات الاحتمالية ٠ "٢٦"

وهكذا ، في الطريقة المسماة بـ(طريقة السيناريوات) يلتقي الخيال والعقل : تارة نضع لأنفسنا مسبقا صورة عن المستقبل ثم نستخرج منها كل العلاقات التخمينية بالعودة بالزمان إلى الوضع الحالي



، وهذا هو (السيناريو المضاد) ، وقد سمي هكذا لأن الصورة النهائية التي نسعى إلى إمكانية الوصول إليها تتناقض بشدة ، في بعض سماتها مع الصورة الحالية وطوراً ننطلق مع الوضع الحالي ونتقدم بواسطة (صوريّات) مستخدمين اتجاهات النمو ، حتى بلوغ المدى المحدد (للريادة) السيناريو النزاع . "٢٧"

إن مناهج البحث العلمي المستقبلي هي طرق النظر المؤدية لمعرفة عواقب الأمور معرفة احتمالية ، وهذه الطرق هي : "٢٨"

١ _ طريقة النمذجة التحليلية :

وتعني الاستدلال بمجموعة من قوانين الطبيعة والاهتداء بسوابقها التجريبية على ماسيحدث.

وهي الطرقة السائدة في الطبيعيات ، وتطبق في نظرية الفعالية الأثيرية وفي مكانيك الجزئيات ، وفي نظرية الكهربة المغناطيسية وغيرها.

٢ _ طريقة الاستدلال القياسي :

وتقوم في نطاق التسلسل المنطقي للمعارف. فتستخرج معارف غير معلومة من معارف معلومة ، كما يجري في قياس الدماغ الالكتروني على الدماغ الإنساني ، أو على دورة الخلية البيولوجية ، وفي دورات الإبداع التكنولوجي .

٣ _ طريقة النمذجة المترية القياسية :

وتطبق لدى اقتصاد قانون طبيعي أساسي . فيعتمد تعويضاً على ذلك التفكير الرياضي القائم على معادلات ثابتة تجريبياً. والأمثلة على ذلك في قطريات الضوء والسوائل وغيرها .

٤ _ طريقة التخمين :

تقوم على الربط بين ظاهرتين أو أكثر ربطاً تقاربياً وان لم تكن بينها علاقة سببية. وتطبق في تقدير حساب المبيعات وعلاقته بالأرباح والتثميرات ، أو في تقدير سلوك العائلات كنتيجة لزيادة دخلها.

وأقرب هذه الطرق إلى التطبيق في العلوم الاجتماعية طريقتا الاستدلال القياسي والتخمين . وتلتقي الطريقتان علمياً ، لأن وضع القياس أو السيناريو أو التشبيه يسبق اختيار المتغيرات التي يسند إليها الترابط ويهيأ له . ويظهر التقاء الطريقتين في الدراسة التي وضعها فريق من الباحثين عام ١٩٨٥م على النمو المديني في فرنسا.

إن هذه الطرق للتنبؤ السائدة في العلوم الرياضية والطبيعية قادتنا لطرق التنبؤ المستجدة في العلوم الاجتماعية كطريقة التوقع ، وطريقة التبصير ، وطريقة الإخفاء ، وطريقة التخطيط ، وطريقة البرمجة . "٢٩"

بعد هذا نقول أن لدينا بعض الملاحظات التقويمية على منهج صياغة السيناريوهات أو (المشاهد الاحتمالية) المستخدم في الدراسات المستقبلية ، وهي :

الأولى : إن صور المستقبل التي تصاغ على شكل (سيناريوهات) لابد وان تستند إلى أسس تضمن استمرارية المشهد وتحول دون ارتداده وتحلله مع المشاهد الأخرى ، وهذا ما تفقده اغلب الدراسات المستقبلية التي تعتمد على رسم (سيناريوهات) .

الثانية : إن هذا المنهج يصلح في حال وجود إرادة لبناء المستقبل على وفق صورة معينة تتوقف على تطويع الحاضر ، فكيفما يكون تطويع هذا الحاضر يكون أمامه صورة المستقبل .

وهكذا تخرج لنا عدة صور للمستقبل تتناسب مع هذا التطويع . ولكن عند قراءة حالة معينة أو تجربة بشرية بصورة خارجة عن إرادة تشكيل مستقبلها فانه يعمد إلى قراءة المعطيات الواقعة لها بغية استشراف مستقبلها ، وكذا الحال مع مستقبل الليبرالية .



الثالثة : إن الدراسة الاحتمالية بالرغم من صحتها إلا أن المشاهد المتعددة في هذه الدراسات تتجاهل معطيات أساسية من المؤكد أنها ستضفي على تشكيل المستقبل بنحو ما ، خاصة ان توفرت مؤشرات تدل على استمرارها وعدم توقفها • فتجمع هذه المؤشرات سوف يقود إلى حكم هو عدم القدرة على حدوث التغيير بعكس هذه المؤشرات • من هنا يصدق القول بان المستقبل هو واحد أوحد من الناحية الواقعية إلا انه وكما درج عليه الباحثون متعدد احتمالي من الناحية النظرية •

وبناء على ما تقدم ، فان الباحث يرى في أن مواجهة مؤشرات متعددة في الليبرالية يقود إلى صوغ فرضية ومن ثم يبدأ في استقراء هذا المؤشرات والتحقق من هذا الفرض بالطريقة الاستقرائية يعتمد على حكم استنباطي• مفاده_: كلما تزايدت المؤشرات باتجاه إيجاب الفرض يصبح من غير الممكن رسم مستقبل عكس ذلك•

٣_ الليبرالية وديناميات الاستمرار التاريخي :

إن الزمن الذي ابتدأت فيه الليبرالية بالظهور وقع خلاف في تحديده• فهناك ثلاثة آراء : "٣٠" .

الأول : يذهب إلى تحديد بدايتها بظهور وثيقة (العهد الأعظم _ الماكنا كارتا) في القرن الثالث عشر في انكلترا•

الثاني : يذهب إلى تحديد بدايتها بظهور كتاب الفيلسوف الانكليزي (جون لوك) المعروف باسم (مقالتان في الحكومة المدنية) في عام ١٦٨٨م•

الثالث : يذهب إلى تحديد بدايتها بظهور (مجتمع الوفرة) •

إن الوجه الاقتصادي لليبرالية والمستند على : "٣١"

(المبادرة الفردية التي تحركها المصلحة الخاصة كأساس في النشاط الاقتصادي• وهذه المبادرة تقتضي الحرية الفردية) •

إن هذا الوجه كاد أن يختزل الليبرالية ككل في الواقع العمالي • والليبرالية هي فلسفة وضعية قامت على ما هو قائم عيانا ، أي أنها فلسفة مادية ، لم تستطع تغذية الجانب الروحي للفرد ، وان كانت قد أقرت حرية المعتقد الديني ، والغاية القصوى لليبرالية هي الثراء المادي للفرد حتى وان قام على أساس الاستغلال الاقتصادي • لذا كانت الأولى لليبرالية هي :

الاستعمار :

هو أحد مظاهر التسلط السياسي أو الاقتصادي أو العسكري أو الثقافي أو الحضاري الذي تمارسه دولة على غيرها ، وهدفه هو الاستغلال الاقتصادي للدولة الخاضعة للسيطرة الاستعمارية ، وتسخير إمكاناتها الطبيعية ومواردها البشرية لرفع مستوى الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية للدولة صاحبة النفوذ الاستعماري • "٣٢"

وهناك عدة مراحل مر بها الاستعمار الغربي ، هي : "٣٣"

_ المرحلة الأولى : وتبدأ منذ أواخر القرن الثامن عشر ، وظهرت فيها بعض القوى الاستعمارية الأوربية والتي كان أهمها بريطانيا وهولندا •

_ المرحلة الثانية : وقد استمرت طيلة القرن التاسع عشر وجانباً من القرن العشرين • فمع تقدم الثورة الصناعية في أوربا تزايدت حدة التسابق على المستعمرات وعلى اقتسام مناطق النفوذ بشكل لم يشهد العالم مثيلاً له من قبل • ويصدق هذا الأمر على بريطانيا وفرنسا •

_ المرحلة الثالثة : وتبدأ بانتهاء الحرب العالمية الأولى وتنتهي بقيام الحرب العالمية الثانية • ففي هذه المرحلة بدأت عملية تقسيم استعماري جديد كنتيجة لانهزام الدولة العثمانية وألمانيا القيصرية • ويصدق هذا الأمر على بريطانيا وفرنسا واليابان • واستمرت العملية الاستعمارية في هذه المرحلة بما أطلق عليه بـــ(نظام الانتداب) الذي جاءت به عصبة الأمم بعد عام ١٩١٩م •

_ المرحلة الرابعة : بعد نهاية الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥م تطورت حركة المقاومة ضد الاستعمار في الكثير من دول آسيا وأفريقيا وانتهى بحصولها على الاستقلال السياسي • وهذه المرحلة



تعتبر نهاية للاستعمار بمفهومه التقليدي ، وبروز شكل أو صيغة أخرى للاستعمار العالمي وهو (الاستعمار الجديد New_ Colonialism) ، والذي لا يخرج عن كونه التحكم الذي تمارسه بعض الدول الكبرى بوسائلها الخاصة وغير المباشرة من سياسية واقتصادية وعسكرية ومذهبية ، على تلك المجموعة من الدول التي يساعد تخلفها الاقتصادي وعدم استقرارها السياسي وضعفها العسكري على تحقيق النتائج المرجوة من وراء هذا التحكم الاستعماري. وأدوات الاستعمار الجديد تمثلت في :

١_ إقامة الأحلاف العسكرية ، كحلف بغداد في عام ١٩٥٥م .

٢_ إذكاء حدة الخلافات التي تتشب بين الدول حديثة العهد بالاستقلال .

٣_ الأدوات الاقتصادية كالقروض والمساعدات المالية ..

الديناميه الثانية هي : مرونة تكيف الوجه الاقتصادي لليبرالية ((الرأسمالية)) :

إن مرونة التكيف الذي اتسمت به الليبرالية / الرأسمالية جعل أحد الباحثين يقسمها إلى أربعة مراحل ، هي : "٣٤"

الأولى : الليبرالية المفرطة hyper Liberalism :

وسادت منذ ظهور كتاب ((ثروة الأمم)) لآدم سميث ، وحتى الكساد الأعظم في الثلاثينيات في القرن العشرين ، وساد الاعتقاد خلالها بقدرة وقابلية الاقتصاد الرأسمالي على التوازن التلقائي بحكم آليات وأجور الأسعار . وكانت سمة هذه المرحلة تتجلى في الشعار الشهير (دعه يعمل دعه يمر) . ولم يواجه الرأسماليون أية مشكلة اقتصادية لإيمانهم بأن يد آدم سميث الخفية كفيلة بحل أية مشكلة تظهر نتيجة أي اختلال اقتصادي . ولم يكن للدولة في نظرهم أي دور سوى أن تتبنى دور الممارسة ، ذلك لأنهم يعتقدون بأن تدخل الدولة في الشؤون الاقتصادية سيفضي إلى الاختلال بمبدأ التوازن القائم على حقيقة الاستخدام الكامل .. وهكذا انشأ الفكر الليبرالي في مرحلته الأولى مع الإحساس بأن من يملك المال له الحق الأمثل في استغلاله بالشكل الذي يراه صائباً دون الأخذ بنظر الاعتبار ما يؤديه ذلك من صور الاستغلال البشري والمادي وتحت راية ومباركة الليبرالية ..

الثانية : الليبرالية المُعدّلة Adjusted Liberalism :

وسادت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية والتي تمخضت عن إنشاء نظام (بريتن وودز) وحتى بدء سبعينيات القرن العشرين . وكان أهم عنصر في هذه الليبرالية هي الدعوة إلى تدخل الدولة لحل المشكلات الاقتصادية ، أي نقلها من دورها (كحارس) كما هو الحال لدى الكلاسيك الأوائل إلى دورها (كمتدخلة) في الاقتصاد ، كما اقترحت الآليات الكنزية المضادة للأزمة والكساد .. ثم جاءت نهاية الحرب العالمية الثانية لتشهد أولى المحاولات التدخلية السلمية لإنشاء نظام مدفوعات دولي يسيطر على أسعار الصرف ويضمن حرية حركة السلع والخدمات عبر أوربا وأمريكا ، والحفاظ على مصالح الدول الأعضاء في هذا النظام . واستمر الفكر الكنزي مسيطراً في الساحة الليبرالية الرأسمالية حتى نهاية الستينيات من القرن الفائت.

الثالثة : الليبرالية المصممة Designed Liberalism :

سادت منذ منتصف السبعينيات وحتى نهاية الثمانينيات . وقد بدأ تطبيقها فعلاً مع تجارب كل من (مارجريت تاتشر ، رئيسة وزراء بريطانيا السابقة ، في كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية على التوالي) . وجاءت هذه المرحلة استجابة للرغبة الرأسمالية الليبرالية بحل المعضلات التي تأصلت في الجسد الرأسمالي حتى باتت عنواناً من عناوينه الاقتصادية . فالتضخم الركودي وانخفاض معدلات الأرباح واستمرار العجوزات المالية والتجارية بالتفاقم ، والديون العامة بالتعاظم وغيرها ، كلها كانت وراء إيجاد هذا النوع من الليبرالية بعد فشل الليبرالية المعدلة الكنزية عن القيام بمهامها الخدمية للأفكار الليبرالية الأم . واستند مصممو هذا النوع من الليبرالية على محاولة المزاوجة بين الأفكار والشواهد الكلاسيكية القديمة وبين الرؤيا الكنزية في التدخل الحكومي . ويبدأون بالغريبة فيحاولون زيادة حصيلتها بتخفيض معدلاتها على وفق آراء (لافر) ..

الرابعة : الليبرالية الجديدة :



وسادت منذ نهاية الثمانينيات وحتى وقتنا الحاضر، وهي مشتقة مما سبق، لكن الفرق بينهما، أن الأولى كانت محاولة (للداخل) للمزاوجة بين الأدوات والأفكار الكنـزية والكلاسيكية، والثانية محاولة مزاوجة (للخارج) للأدوات والأفكار الكنـزية والكلاسيكية • وساعدت عوامل وظروف عدة على بروز هذه المرحلة، هي :

١_ فشل التطبيقات والأفكار الكنـزية في معالجة ازمات السبعينيات المتشبعة •
٢_ تحقيق تجربتي تاتشر وريجان لنجاحات في سياساتهما في مطلع الثمانينيات •
٣_ التطابق غير الكامل بين الحرية الديمقراطية والاقتصادية والحرية السياسية للفرد، والذي ولد الرغبة لدى أغلب شعوب العالم للوصول إليها •
٤_ التطور التكنولوجي المضطرد، والذي أعلن عن ثورات في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات مما سهل اختراق أي حاجز احتكاري للفكر أو الرأي والسلعة والخدمة •
٥_ الضغط الذي مارسه الاقتصاد الأمريكي على دول العالم كافة •
٦_ تزايد نفوذ الشركات متعددة الجنسية ونجاحها في الضغط على الحكومات من أجل توقيع اتفاقية الجات ١٩٩٤م (المنشئة لمنظمة التجارة العالمية) وخاصة بما يتعلق بالتجارة أو الاستثمار وفتح الحدود أمامها بلا قيود •
٧_ انهيار المنظومة الاشتراكية وإخلاء الساحة تماماً أمام الليبرالية وأنصارها ومريديها •

لقد وجدت الرأسمالية في ((الثورة العلمية والتكنولوجية))* ملاذها وملجأها باعتبارها تحدث تغييرات ثورية في القوى الإنتاجية والعلاقات الاقتصادية الدولية • وفي هذا الإطار الجديد راحت الرأسمالية تحاول فهم الضرورة باستخدام قوانين الرأسمالية نفسها، أي محاصرة التحديات التي تواجهها والالتفاف حولها، ثم وضعها في خدمتها فهذه الرأسمالية التي تجدد قواها الإنتاجية، وتضاعف كفاءة العمل في الإنتاج، وتنشئ مجتمع الاستهلاك حيث يطارد الروبوت عمل الإنسان الحي، وان تسبق الاقتصاد الاشتراكي من حيث الكفاءة الإنتاجية • إنها مرونة هائلة صارت تتمتع بها الرأسمالية المعاصرة• وهي مرونة ترجع موضوعياً إلى مرونة رأس المال المالي نفسه، وقابليته للحركة السريعة، وقدرته على إعادة تنظيم نمط وأسلوب حياته واستثماره وسيطرته • وهو الشكل الغالب على حركة رأس المال المعاصر • "٣٥"

لقد قامت البلدان الرأسمالية المتقدمة بإعادة النظر في أساليب إدارة وتنظيم الرأسمالي على المستويين الدولي والمحلي، بحيث تشكلت الآن آليات من نوعين : "٣٦"

نوع يوضع في التطبيق على الصعيد الدولي، ونوع آخر يطبق على الصعيد المحلي، وهدفهما هو تصحيح اسلوب عمل قوانين الاقتصاد الرأسمالي • وهكذا اكتسب قدرة على التعايش مع التناقضات وتطويعها والتحكم فيها • وهكذا اعيد النظر في آلية الأسعار، وأصبح التضخم آلية من آليات عمل الرأسمالية كما استخدمت آلية التخطيط، واكتسبت التجارة الخارجية أهمية كبرى في إدارة الأزمة الاقتصادية وتصدير هذه الأزمة إلى البلدان الاقتصادية النامية، واستخدمت المديونية الخارجية كأداة من أدوات التكيف وتشكلت آليات للنقل الدولي للأعباء التي تواجه الاقتصاد الرأسمالي •

الديناميةالثالثة هي : البراغماتية :

في البدء نود أن نشير إلى حقيقة أساسية هي : إن لقاء الليبرالية مع البراغماتية جاء من كونهما ذو توجه مادي / وضعي في الحياة الإنسانية وأصبحت البراغماتية أحد ديناميات الليبرالية من الزعامة الأمريكية للعالم الحر بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وزعامتها العالمية بعد عام ١٩٩١م •

يناير (كانون الثاني) عام ١٨٧٨م، هو التاريخ الذي اتفق معظم الباحثين على انه موعد إعلان ((البراغماتية)) في الولايات المتحدة الأمريكية • ففي العدد الصادر في ذلك الشهر من مجلة (العلم الشعبي) نشر ((تشارلس بيريس ١٨٣٩_١٩١٤م)) مقالاً بعنوان ((تثبيت الاعتقاد))، واعتبر هذا المقال أول بيان تعلن فيه الفلسفة البراغماتية عن نفسها، ثم تلاه بمقال آخر بعنوان ((كيف نوضح أفكارنا ؟)) في عام ١٨٧٩م في نفس المجلة • "٣٧"



ولم يكن عام ١٨٧٨م إلا قمة في مرحلة اقتصادية مهمة في تاريخ الولايات المتحدة . ذلك لأن هذه المرحلة شهدت ظاهرتين أساسيتين في الاقتصاد الأمريكي : "٣٨"

الأولى : بلوغ أعلى درجة من درجات (المنافسة الحرة) ؛ حيث بلغ تركيز رأس المال درجة عليا مهدت لبزوغ عصر الاحتكارات .

والثانية : فيما بعد عام ١٨٧٣م . عام الأزمة الاقتصادية ، وهي التطور الواسع في نظام (الكارتلات) ، وإن لم يكن قد بلغ بعد مستوى السيطرة على الاقتصاد الأمريكي . ومن ثم فان ظهور البراغماتية في أمريكا قد ساوقت ظهور الأشكال الاحتكارية في الاقتصاد الأمريكي وما ترتب عليه من انعكاسات سياسية واجتماعية بالغة الأثر في حياة المجتمع الأمريكي .

والقضيتان اللتان ألح عليهما (بيرس) إلحاحا شديداً هما : "٣٩"

((قضية الاعتقاد)) و ((قضية المعنى)) .

فـ(الاعتقاد) عنده هو أن لديك عادة سلوكية معينة . إن جوهر الاعتقاد هو ((تكوين عادة ما)) والشك هو تعطيل هذه العادة ، ((والتسبب في صراع من أجل الحصول على عادة الاعتقاد))وهذا الصراع في حالة الشك إلى حالة الاعتقاد ــ إلى ممارسة العادة ــ هو ما يدعوه بيرس ((البحث Inquiry)) أو التفكير Thought . ووظيفة التفكير ليس الحصول على المعرفة بل هو فقط ، ((إقرار فكرة ما)) أو ((تثبيت اعتقاد ما)) إن ((الحصول على الاعتقاد هو وحدة وظيفة التفكير ومهمته)) . وما نفتقد فيه هو ما ندعوه بالصدق أو الحق . ولا معنى لقولنا إننا لا نعتقد إلا في الصدق أو الحق ، لأن الصدق و الحق ــ طبقاً لبراغماتية بيرس ــ هو ما نعتقد فقط هو كذلك .

ولأهمية هذه القضية فان (بيرس) تقدم بثلاث مناهج للوصول إلى (إقرار فكرة ما) أو (تثبيت الاعتقاد) ، هي : "٤٠"

الأول : هو منهج التشبث Tenacity :

ما دام الاعتقاد هو هدف التفكير النهائي ، فان الشيء الوحيد الذي يهز هذا الاعتقاد الثابت هو أن التشبث بهذا الاعتقاد لا يصلح للعمل في كل وقت أو هو لا يقوم بمهمته دائماً ، لأن الأفراد يلتقون ببعضهم البعض وقد لا يشتركون جميعاً في نفس الاعتقاد . وانعدام المشاركة في اعتقاد واحد يثير التردد لدى الأفراد ، وهذا التردد قد يحطم (العادة السلوكية) التي هي الاعتقاد . ولذلك فالتحدي القائم أمام التشبث بالاعتقاد هو الفشل وتكرار الفشل يؤدي إلى القضاء عليه . وهذا يثير ضرورة الوصول إلى منهج أكثر فاعلية في تثبيت الاعتقاد . منهج لا يقتصر على الأفراد بل يتعداهم إلى المجتمع ، وهذا المنهج هو :

الثاني : منهج السلطة Authority :

يقول (بيرس) فيه : ((فدع إرادة الدولة تفعل فعلها إذن ، بدلاً من إرادة الفرد ودع هيئة أو مؤسسة تنشئ لهذا الغرض ، ان تضع أمام الجماهير المذاهب الصحيحة ، وأن تعلمها للأفراد منذ الصغر وان تكون لديها القوة في نفس الوقت كي تردع المذاهب الأخرى المناقضة وتمنعها من الوصول إليهم ، وتحول بينها وبين إن تعلن أو تعبر عن نفسها . ولا تدع سبباً ممكناً من أسباب التحول أو التغير باقياً في إفهام الناس .. ثم دع كل الناس الذين ينبذون الاعتقاد السائد يغرقون الفزع والرعب في لجة الصمت)) .

((إن منهج السلطة ، سوف يحكم دائماً جماهير الجنس البشري)) هكذا يتحدث (بيرس) .. ثم هكذا ينهي حديثه ((إن منهج السلطة هو الطريق إلى السلام)) .

الثالث : منهج العلم Science :

يقول (بيرس) إن ((المنهج العلمي)) لتثبيت الاعتقاد لا يتوجه إلى الجماهير الواسعة ، بل إلى الأقلية المثقفة ، إلى الصفوة الخاصة ، التي لا يتبعها المنهجان السابقان . ومنهج العلم عنده يقوم على أساس مفهومين رئيسين ، هما :

١ـ المذهب البراغماتي .



٢_ تحديد معنى الواقع ، ومعنى الصدق ،
((إن فكرتنا عن أي شيء ، هي فكرتنا عن تأثيراته الحسية)) ، هكذا يقول (بيرس) ، ولكن التأثيرات الحسية تحدث من خلال العادات السلوكية التي تحدثها ، التي هي ((الاعتقاد)) ،
إن الواقع شأنه شأن أي كيفية أخرى ، يتوقف على التأثيرات الحسية التي تحدثها الأشياء ، والتأثير الوحيد الذي تحدثه الأشياء الحقيقية هو الاعتقاد ، لأن الإحساسات التي تثيرها الأشياء تنبثق في الوعي على شكل معتقدات ، إن الواقع إذن هو ما يدفع الناس إلى الفعل ، والفعل نتاج لعادة سلوكية ، إذن فالواقع هو عادة سلوكية ، وإذا تذكرنا إن العادة السلوكية هي التحديد الذي يعطيه (بيرس) للاعتقاد ، كان معنى ذلك ان الواقع هو ما نعتقده ، وما نعتقده هو الواقع ،وهكذا يبدو الواقع متوقفاً في وجوده على الإنسان وعلى معتقداته ،
بعد هذا نقول ان مبدأ (التشبث) سيصبح منهج (إرادة الاعتقاد) عند ((وليم جيمس)) ، وسيتخذ(منهج العلم) اسماً جديداً عند ((جون ديوي)) هو (الذرائعية) ،،
أما (منهج السلطة) فلعله أكثر المناهج تعبيراً حتى الآن ، عن السلوك العملي للولايات المتحدة الأمريكية ،
لقد ذكر (وليم جيمس ١٨٤٢_١٩١٠م) في كتابه (البراغماتية) الذي نشر عام ١٩٠٧م بـ(إن مبدأ بيرس ، مبدأ البراغماتية ، ظل مهملاً ومغموراً زهاء عشرين عاماً ولم يحفل به احد ، حتى جئت أنا ، وقدمته من جديد ، وطبقته تطبيقاً خاصاً على الدين ، وكان ذلك في عام ١٨٩٨م) ،
والواقع إن هذه السنوات العشرين التي تحدث عنها (جيمس) شهدت التطور السريع في الأسس الاقتصادية والسياسية التي يقوم عليها النظام الأمريكي ، لقد تحول الاقتصاد من مرحلة المنافسة الحرة إلى مرحلة التركز في مجموعة من الترستات والاحتكارات ، وقامت الفئات الحاكمة بالتدخل ، من خلال سلسلة من الحروب العدوانية ، في أمريكا الجنوبية ، وطرد الاستعمار الأسباني من كثير من مواقعه ، والحلول مكانه ، إن عام ١٨٩٨م قد فتح الطريق أمام ظهور الامبريالية الأمريكية ، والنظريات والأفكار الجديدة التي قدمها (جيمس) لتعبر عن هذه المرحلة الجديدة ولتسهم في تأكيد النظرية البراغماتية وتدعم منهجها ، هي : "٤١"
١_ نظرية المعنى ،
٢_ نظرية الحق أو الصدق ،
٣_ نظرية التجريبية المتطرفة ،
٤_ نظريته في الدين ،
وسنقتصر على (نظريته في الدين) ؟ لأنه حاول إن يطبق طرحه البراغماتي عليه ،
يقول (جيمس) : ((إذا كان [فرض الله] يعمل بشكل مُرضٍ ، وبأوسع معاني هذه الكلمة ، فهو فرضٌ صحيح ، ومهما تكن الصعوبات المتخلفة منه ، فان الخبرة تومئ إلى إن الفرض يعمل بذلك الشكل المرضي على وجه التأكيد ، والمشكلة الآن هي بناؤه وتحديده وتصميمه بحيث يلتحم بشكل كافٍ مع بقية الحقائق العاملة الأخرى)) ،
وفي موضع آخر من (البراغماتية) قال جيمس : ((إذا أثبتت الأفكار اللاهوتية _ ويقصد الدينية والمسيحية _ إن لها قيمة في الحياة الملموسة ، فهي أفكار صحيحة بالنسبة للبراغماتية بمعنى إنها نافعة إلى هذا الحد)) ،
أما بالنسبة إلى (جون ديوي ١٨٥٩_١٩٥٢م) فقد عاصر الفترة العنيفة التي أحدثتها الثورة الروسية عام ١٩١٧م ، وصعود نجم الاشتراكية في الواقع التطبيقي ، عكس زميليه (جيمس و بيرس) اللذان عاصرا التأثير المدوي لتأسيس كوميونة باريس ١٨٧١م ، بعد الحرب الفرنسية _ البروسية ، على الطبقات الرأسمالية في أمريكا وأوربا معاً ، وأنعشت آمال الطبقات العاملة هناك ، حيث أعطت بتأسيسها إمكانية قيام نظام اجتماعي ينبذ الاستغلال والقهر ويحقق أهداف الطبقات العاملة وأحلامها ،، "٤٢"



أن المفتاح الأساسي في فلسفة ديوي هو مفهومه عن ((الخبرة Experience)) ٠ ولقد تحدث (ديوي) عن فلسفته في علاقتها بهذا المفهوم فقال : انها تشير إلى الأيمان بالخبرة حيث تستخدم بذكاء كوسيلة للكشف عن حقائق الطبيعة ٠ إنها تجد أن الطبيعة والخبرة ليستا عدوتين أو منفصلتين ٠ إن الخبرة هي وسيلة تتيح للإنسان النفاذ باستمرار إلى قلب الطبيعة ٠ وأطلق (ديوي) على مذهبه هذا بـ(مذهب التواصل بين الطبيعة والخبرة) ٠ إن الأشياء هي موضوعات للمعالجة ، للاستعمال ، للتأثير بها والتأثير عليها ، للفرح وللمكابدة ، وأكثر من كونها موضوعات للمعرفة ٠

وهكذا لا يبدو لنا إننا لا نعرف العالم كما هو موجود بالفعل مستقلاً عنا ، إننا نعرف فقط رد الفعل الذي يحدثه العالم فينا ، والفائدة التي نجنيها من ذلك ٠ "٤٣"

ومن ثم فقد قال (ديوي) بـ(وحدة النظر والعمل) أو النظرية والتطبيق ٠ لقد انطلق من المفهوم التقليدي للنظرية ، بوصفها عقلاً خالصاً ، منفصلاً تماماً عن التطبيق ٠ والعقل المنفصل عن التجربة أو عن التطبيق لن يكون إلا عقلاً جامداً قطعياً ٠٠ وهذا أدى

بـ(ديوي)إلى نبذ (العقل Reason) وأحل محله مفهوماً جديداً هو (الذكاء Intelligence) ، الذي هو استخدام الخبرة الماضية لإعادة بناء الخبرة الحاضرة ٠ إن الخبرة الماضية تستخدم في اقتراح الغايات والمناهج لتطوير خبرة جديدة أفضل ٠ الخبرة الماضية تستخدم كفرض ، كحل مقترح ، لقيادة الخبرة الجديدة ، ذلك لأنه ليس ثمة نظرية عملية تقود التجربة ، ليس ثمة قوانين للطبيعة والمجتمع ٠ هناك فقط فروض تدخل في كل تجربة امتحاناً لمدى قدرتها على العمل وتحقيق الأهداف المطلوبة ٠ فان نجحت تأكدت ، وان فشلت نبذت ٠٠ المعرفة إذاً هي معرفة عملية ٠ والمعرفة عند (ديوي) هي الذكاء ٠ والذكاء هو الاختيار الصحيح للوسائل الصالحة لبلوغ الغايات٠٠ المعرفة والفكر ، والنظريات كلها ((ذرائع)) للتغلب على الصعوبات ، وتخطي العقبات للوصول إلى الغايات المرجوة ٠ والمعرفة وأفكارها وتطرياتها صادقة وصحيحة وحقيقية ، إن استطاعت إن تقودنا إلى غاياتنا وإلا فهي زائفة

وباطلة ٠ وهذا ما يدعوه (ديوي) بـ((المفهوم البراغماتي للحقيقة))٠٠ وسيظل الأفراد مركز الخبرة وكمالها ، ولكن ماهية

الفرد الواقعة بالفعل في حياة خبرته تعتمد على طبيعة الحياة الاجتماعية وحركتها ٠ "٤٤"

ولقد خشي (ديوي) على (الديمقراطية) و (الحرية) من تأثير الأفكار الاشتراكية ٠٠ لذا فـ(الحرية) عنده هي السعي إلى القوة ، اما لازاحة قوة أخرى من مركزها أو لامتلاك قوة لم تمتلك بعد ، أو امتداداً لقوى اخرى ٠

ان القوة اصبحت المنهج الوحيد القادر على حل المشكلات الاجتماعية ، وأكد أن الغالبية الساحقة من الأمريكيين اليوم يجدون حريتهم وأمنهم في جيش قوي ، وأسطول كبير ، وإنتاج حربي ضخم ٠ وقال بالحرف الواحد : ((إن لدينا اعتقاداً بأن القوة الطبيعية والقوة العمياء والغشوم ، هي بعد كل شيء ، ركيزتنا المثلى)) ٠ وقد لُقّب (ديوي) بـ((المنقذ الروحي والمدافع عن الحضارة الغربية)) ٠ "٤٥"

الدينامية الرابعة هي : العولمة :

ونبدأ بالترجمة الصحيحة للاسم الانكليزي للظاهرة هو ((Globalization)) وهو مشتق من (Globe) بمعنى الكرة ، والمقصود بها هنا الكرة الأرضية ، الكوكب الذي نعيش على سطحه ، ومقابل ((العالم)) وهو ((World)) ، و ((الكون)) وهو ((Universe)) ٠ وكلمة العالم تعني البشرية ، والنسبة إليها توحي بمشاركة الناس جميعاً ٠ وقد وجدت في المعجم فعل (كوكب) بمعنى جمع أحجاراً ووضع بعضها مع بعضها الآخر في غير شكل محدد ٠٠ والمقصود بالكوكبة هو التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة للدول ذات السيادة أو انتماء إلى وطن محدد أو لدولة معينة وبدون حاجة إلى إجراءات حكومية٠ "٤٦"

والعولمة عند أستاذ الفلسفة السوري صادق جلال العظم هي : "٤٧"



((وصول نمط الإنتاج الرأسمالي عند منتصف هذا القرن تقريباً ، إلى نقطة الانتقال من عالمية دائرة التبادل والتوزيع والسوق والتجارة والتداول ، إلى عالمية دائرة الإنتاج وإعادة الإنتاج ذاتهـا ، أي إن ظاهرة العولمة التي نشهد ما هي الا بداية عولمة الإنتاج والرأسمـال

الإنتاجي وقوى الإنتاج الرأسمالية ، وبالتالي علاقات الإنتاج الرأسمالية أيضا ، ونشرها في كل مكان مناسب وملائم خارج مجتمعات المركز الأصلي ودوله • العولمة بهذا المعنى هي رسملة العالم علـى مستوى العمق بعد أن كانت رسملته على مستوى سطـح النمط ومظاهره)) •

وللعولمة تجليات متعددة ، اقتصادية وسياسية وثقافية واتصالية : "٤٨"

التجليات الاقتصادية تظهر أساسا في نمو وتعمق الاعتماد المتبادل بين الدول الاقتصادية القومية ، وفي وحدة الأسواق المالية ، وفي تعمق المبدلات التجارية في إطار نزعت عنـه القواعـد الحمائيـة التجارية•• وهذه التجليات تبرز بوجه خاص من خلال عمل التكتلات الاقتصادية العالمية ، ونـشاط الشركات الدولية النشاط ، والمؤسسات الدولية الاقتصادية كالبنك الدولي وغيره •

وهناك تجليات سياسية للعولمة من أبرزها سقوط الشمولية والسلطوية ، والنزوع إلى الديمقراطية والتعددية السياسية ، واحترام حقوق الإنسان •

أما التجليات الثقافية للعولمة فهي محاولة نشر ثقافة عالمية لها قيمها ومعاييرها الخاصة ، وبطرح أمريكي •

في حين أن العولمة الاقتصادية تبرز من خلال البث التلفزيوني عن طريق الأقمار الـصناعية ، وبصورة أكثر عمقاً من خلال شبكة الإنترنيت التي تربط البشر في كل أنحاء المعمورة •

٤ _ الليبرالية والانكفاء المستقبلي :

((انه ما من إنسان مستعد اليوم ، لأن يموت من أجل الرأسمالية في إفريقيا واسيا وأوربا نفـسها))•• هكذا أعلن في مرارة (جاك ماريتان) الفيلسوف الفرنسي الأصل في ندوة عقدت منـذ أعـوام قلائل ، في جامعة شيكاغو لـمناقشة الوضع الراهن في الفلسفة الغربية • " ٤٩"

أن معالجتنا لمستقبل الليبرالية سيكون وفقاً لمسارات ثلاث ، هي :

المسار الأول :-

ويرى بان مستقبل العالم من مستقبل الليبرالية ••

المسار الثاني :-

ويحدد المشاكل والأزمات التي تعايشها تجربة الدولة الليبراليـة علـى كافـة الـصعد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وما تخلقه من نذير شؤم لليبرالية ، وما هي المؤشـرات الأخـرى البديلة والمهددة لمستقبل الليبرالية •

المسار الثالث :-

ويرتكز على الفلسفة الإسلامية في تفسيرها لتاريخ الحضارات البشرية •

المسار الأول :-

وقد توضح بشكل خاص بأطروحة فكرية غربية أمريكية تـم طرحهـا فـي نهايـة الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن المنصرم (العشرين) من قبل الكاتـب الأمريكـي الجنـسية والياباني الأصل (فرانسيس فوكوياما) في أطروحة (نهاية التاريخ) •

وقد نشر أطروحته هذه بصيغة مقال في الفصلية الأمريكية المعروفة ((المصلحة القومية National Interest)) في صيف عام ١٩٨٩م • ثم طورها إلى كتاب نشر في عام ١٩٩٢م •



حيث رأى بأن التوافق الكامل في النظام ((الرأسمالي الليبرالي)) كنظام حكم جعله يزحف على بقية أجزاء العالم في الآونة الأخيرة ، وتأكد هذا بانتصاراته المتتالية على الايديولوجيات الأخرى كالملكية الوراثية ، والفاشية ، وأخيرا الشيوعية . إن النظام ((الرأسمالي الليبرالي)) لربما شكل المرحلة النهائية في التطور العقائدي للجنس البشري وبالتالي يصبح هو نظام الحكم الأمثل ، وبمعنى آخر فان الوصول إلى هذا النظام هو ((نهاية التاريخ)) . "٥٠"

وتوقف التاريخ لديه هو توقفه كتجربة بشرية تتطور بشكل متصل ومتماسك ويعتقد بان هذا المفهوم يطابق إلى حد كبير مع منظور الفيلسوف الألماني ((هيجل)) للتاريخ . ويرى بان هذا يتأكد ضمنياً عند استخدام تعبيرات تحمل التضاد في داخلها مثل ؛ بدائي ومتطور ، وتقليدي وحديث عند الإشارة إلى أنماط مختلفة من المجتمعات البشرية.. ومن ثم لن يكون هناك أي تقدم أو تطور بعد اليوم فيما يتعلق بالمبادئ والعقائد والمؤسسات . ورأى بان التطور التاريخي المضطرد للغالبية العظمى من البشر سيقود إلى النظام الرأسمالي الليبرالي . "٥١"

وعند حديثه عن (الاسلام) كأيديولوجية مطروحة لمنافسة الديمقراطية الليبرالية نجد إن (فوكيوما) يصادر عليه تماماً :((لكن يبدو انه من الممكن استثناء الإسلام _ مبدئياً على الأقل _ من هذا الحكم العام حول الإيديولوجيات المنافسة للديمقراطية ، فالإسلام يشكل إيديولوجية متجانسة ومنتظمة ، مثله في ذلك مثل الديمقراطية والشيوعية ، مع دلالته الخاصة في الأخلاق ومذهبه في السياسة والعدالة الاجتماعية ، وقد هزم الإسلام في الواقع الديمقراطية الحرة في أجزاء كثيرة من العالم الاسلامي.. ويقول بان الإسلام لا رنين له لدى الشباب في برلين أو طوكيو أو موسكو مثلاً.. ويبدو انه من أسباب إحياء الأصولية الإسلامية التهديد الذي أحست به هذه المجتمعات الإسلامية التقليدية بسبب اختراقها بالقيم والأفكار الغربية التحريرية)) . "٥٢"

ومن المعلوم إن أطروحة (صدام الحضارات) للمفكر الأمريكي (صاموئيل هانتنغتون) في صيف ١٩٩٣م ، رأت بان المستقبل سيشهد تصادماً بين الحضارات العالمية (كالغربية والإسلامية والكونفوشوسية ...) ورأى بان الثقافة والهويات الثقافية ، والتي هي على المستوى العام هويات حضارية ، هي التي تشكل أنماط التماسك والتفسخ والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة . "٥٣"

<u>المسار الثاني</u> :-

ويلتزم بما تعانيه تجربة الدولة الليبرالية من مشاكل وأزمات على كافة المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها ، ما يرسم مستقبل سوداوي لليبرالية .

ان المجتمع الأمريكي يعاني من نسبة بطالة فيه تبلغ ٢٠% من إجمالي القوى العاملة الأمريكية ، وبما يعادل ٢٥ مليون شخص عاطل

عن العمل حيث تعتبر أعلى نسبة في كافة المجتمعات الليبرالية الأخرى . أما عن انتشار الجريمة ، فيشهد المجتمع الأمريكي وفي مدينة نيويورك خاصة ، جريمة اعتداء مسلح كل ثلاثين ثانية ، وجريمة اغتصاب كل ثلاث ساعات ، وجريمة اغتيال في المتوسط كل أربع ساعات . اما ان الإدمان على المخدرات فيوجد في الولايات المتحدة حوالي ١٥ مليون مدمن بدرجة خطيرة ، وان ٦٥ % من قوة العمل يتعاطونها ، وان ١٦ % منهم يستخدمونها إثناء ساعات العمل..

ان ٣٨ % من الجريمة المنظمة تشرف عليها مافيا المخدرات ، وبذلك فهي تأتي في المرتبة الأولى عالمياً من حيث استهلاك المخدرات.. وهذا أدى إلى تفكك وانحلال الأسرة الأمريكية ، حيث بلغت نسبة الطلاق ٥٠ % بين الأسر الأمريكية . وقد ارتفع عدد النزلاء في السجون الأمريكية إلى (١,١٢٦,٢٩٣) نزيل في عام ١٩٨٥م ليصل إلى (١,١٨٢,١٦٩) نزيل في عام ١٩٩٦م كما ان توزيع الثروات في الولايات المتحدة يوضح لنا ان هناك تبايناً واضحاً في مستويات الدخل بين طبقات المجتمع الأمريكي ، حيث تبلغ الدولة الأعلى بين الدول الرأسمالية من حيث تفاوت توزيع الثروة المالية بين أفرادها ، كما هو موضح في



الجدول التالي

نسبة السكان %	يمتلكون %
١ %	٤٥,٦ %
١٩%	٤٦ %
٨٠ %	٧,٨ %

جدول يوضح توزيع الثروة المالية في الولايات المتحدة عام ١٩٩٢م ٠

ويوجد في الولايات المتحدة حوالي (٦٠) مليون شخص يعيشون تحت خطر الفقر ، كما هو مبين في الجدول التالي : "٥٤"

السنة	عدد السكان بالملايين	عدد الفقراء بالملايين	النسبة المئوية الكلية للسكان
١٩٧٥	٢١٠,٩	٤٩,١	٢٣,٧
١٩٨٠	٢٢٥,٠	٥٢,٠	٢٣,١
١٩٨٥	٢٣٦,٦	٥٧,٠	٢٣,٩
١٩٩٠	٢٨٤,٦	٥٦,٧	٢٢,٧
١٩٩٥	٢٦٣,٧	٦٤,١	٢٤,٣
١٩٩٧	٢٦٧,٥	٦٠,٣	٢٢,٥

إن الفضائح الأخلاقية والمالية التي تهز المجتمعات الغربية ، كل المجتمعات الغربية ما بين طوكيو وواشنطن مروراً بالعواصم الأوربية ، ولاسيما لندن ، والتي كان من نتيجتها استقالة مسؤولين عديدين كما كشفت ، انهياراً لا مثيل له في القيم ٠٠ وقد أدت فضائح الفساد المالي في ايطاليا إلى ما يطلق عليه الآن بـ(الثورة الحلوة) التي اكتسحت الجمهورية الأولى في ايطاليا ٠ أما في بريطانيا ، فالثورة ذات طعم حاد ومرير تقودها الصحافة الشعبية وهي ثورة كشفت انهيار الثقة في الملكيين والبرلمان وحتى بالكنيسة ٠ ناهيك عن الفضائح الجنسية للرؤساء الغربيين ٠٠ وفي اليابان أدت الفضائح المالية إلى سقوط الديمقراطيين الأحرار من الحكم بعد ٤٠ سنة في السلطة ٠ "٥٥"

وهناك مظاهر عدة تشير إلى المخاطر التي تواجه الديمقراطية داخلياً والتي تهدد بقائها مثل تدهور معدلات التصويت في الانتخابات المختلفة ، وبروز الاتجاهات المادية والنفعية لدى المؤسسات القيادية والسياسية ، وسيطرة الحملات الإعلامية على الانتخابات أكثر من المناقشات العامة للقضايا السياسية والاجتماعية التي تواجه الأمة وبروز ونشوط جماعات الضغط وجماعات المصالح وسيطرتها على أعضاء السلطة التشريعية والحكام بشكل يحول بين هؤلاء وسماع أصوات الشعب ، ونمو البيروقراطيات على جميع المستويات الحكومية ، مما يؤدي إلى عزل القيادات المنتخبة عن المواطنين الذين يفترض إنهم يمثلونهم ٠ "٥٦"

ويؤكد (هونتنغتون) ان المصالح القومية الأمريكية تنبع من الهوية القومية الأمريكية التي بنيت تاريخياً على مكونين أساسيين ، هما :

الثقافة ، التي تمثلها اللغة الانكليزية وعادات وتقاليد المستوطنين الأوائل الذين جاءوا معظمهم من أوربا الغربية ، والعقيدة التي تتكون من مبادئ مثل الحرية والمساواة والحكومة المحدودة ونشاط القطاع الخاص ٠ إلا إن التغييرات الاجتماعية والثقافية والسكانية التي يشهدها المجتمع الأميركي الآن إضافة إلى انتهاء الحرب الباردة ، أدت إلى التساؤل حول قيمة وأهمية هذين العنصرين التقليديين للهوية الأميركية ، إذ لم يعد بإمكان الأميركان تحديد مصالحهم القومية وذلك لافتقارهم إلى شعور



مؤكد بالهوية القومية ، ونتيجة لذلك أخذت المصالح التجارية شبه القومية والمصالح العرقية غير القومية أو عبر القومية تهيمن على السياسة الخارجية الأميركية٠٠ لقد بنى
الأميركيون هويتهم العقائدية منذ البداية على أساس تباينها مع (هوية أخرى) غير مرغوب فيها وما فتيء الأميركان يصفو أعدائهم بأعداء الحرية٠٠ وعندما كانت الحرب الباردة تضع أوزانها في نهاية الثمانينات قال جيورجي ارباتوف مستشار الرئيس السوفيتي
(غورباتشوف) : ((إننا نلحق بكم ضرراً كبيراً _ إذ إنا نحرمكم من وجود عدو لكم)) ٠ إن نهاية التاريخ ، أي الانتصار الشامل للديمقراطية إذا ما تحقق قد يكون أكثر الأحداث المؤدية لصدمة أميركا وعدم استقرارها ٠ "٥٧"

إن اقتصاد السوق في جميع أنحاء العالم أكثر ديناميكية من الديمقراطية٠٠ لأن هناك قوى أكثر تسانده ، وان الديمقراطية سوف تضمحل وتتلاشى بعد أن تكون قد استبدلت بآليات السوق والفساد٠٠ وتقف الولايات المتحدة الأمريكية ، أكثر من أية دولة أخرى ، على رأس الدول المعرضة للخسارة جراء انتشار مفاهيم اقتصاد السوق وسيادتها على الديمقراطية ، حيث يشكل قدوم دكتاتورية السوق تهديداً داخلياً يتمثل في أن بوتقة الانصهار الأمريكية قد تستبدل بخليط غير متجانس من المجموعات ذات المصالح الشخصية الأنانية التي تعاني من إختلال وظيفي ٠ أما على المستوى الخارجي ، فإن سيادة مفاهيم اقتصاد السوق لا يعرض للخطر عدداً كبيراً وواسعاً من المصالح الأمريكية فحسب ، بل أيضا القاعدة الأيديولوجية لقيادتها العالمية على حد سواء ٠ وباختصار ، فإن انهيار وتصدع الحضارة الأمريكية سوف يسبق انهيار الحضارة الغربية ٠ "٥٨"

((إن المجتمعات الديمقراطية احد أهم ملامحها النقد الذاتي الدائم ، هي الوحيدة القادرة على الاستمرار ، ولكنها في نفس الوقت أكثر المجتمعات سهولة في التفكك)) ٠ "٥٩"

إن ((العودة إلى الأصول وإحياء الدين ظاهرة عالمية ، قد تبدت في أوضح صورها في التوكيد الثقافي وتحديات الغرب التي جاءت من آسيا ومن الاسلام٠٠ ويتجلى التحدي الإسلامي في الصحوة الثقافية والاجتماعية والسياسية العامة للإسلام في العالم الإسلامي ، وما يصاحبه من رفض لقيم الغرب ومؤسساته الاجتماعية)) ٠ "٦٠"

هذه الصحوة الدينية ، أو (ثأر الله) كما يطلق عليها ((جيل كيبل)) انتشرت في كل قارة وفي كل حضارة وكل دولة في الواقع ٠ وأصبحت أحد القضايا هي (قضية أنجلة _ أي إحياء الإنجيل _ ثانية لأوربا) ، وهذا تأتى من البعد عن الله ٠ "٦١"

إن نهوض الأصولية الدينية هو بركان اجتماعي في حالة الثوران٠٠ والربط بينه وبين الشؤون الاقتصادية أمر بسيط ٠ إن الذين خسروا اقتصادياً أو الذين لا يستطيعون الصمود أيام الاضطراب الاقتصادي ولا يعرفون ما الذي يتطلب النجاح في عصر جديد ينكفئون إلى الأصولية الدينية ٠ وهذا متأت من الشكوك العالية بشأن العالم المادي ٠ "٦٢"

<u>المسار الثالث</u> : -

أما بالنسبة للمسار الثالث فهو يرتكز على الفلسفة الإسلامية لتفسير التاريخ الحضاري للبشرية :

يتبنى الفكر الإسلامي المعاصر تصوراً معيناً عن تفسير التاريخ قائم على إعطاء دور بارز لله ((سبحانه وتعالى)) ، في تفسير الأحداث التاريخية وفي وضع سنين كونية تتحكم في حركة التاريخ من دون أن تلغي دور العناصر الأخرى (أي الإنسان) في صياغة الفعل التاريخي ٠ "٦٣"

ان ربط التعالي الإلهي بالتاريخ وتفسيره يحقق كلية الزمن عن طريق ربط حركة الحاضر بالماضي من جهة وبالمستقبل الدنيوي والأخروي من جهة أخرى بما ينعكس اجتماعياً عل دور الفرد والأمة في الحياة الدنيوية ٠ و (يؤمن الفكر الإسلامي المعاصر بأن التاريخ يحكمه قانون ما وليست



أمور البشر خاضعة للمصادفة العمياء _ ويستمد أيمانه هذا من القرآن الكريم الذي أشار في بعض آياته
إلى ان كل تغيير أو حدث أصاب الأمم والأقوام الغابرة لم يكن صدفة أو عشوائياً وإنما كان تعبيراً عن إرادة الله ((عز وجل)) والتي سماها القرآن الكريم بسنن الله) .
والسُّنة تعني ((الطريقة المتبعة في معاملة الله ((تعالى)) للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله ((تعالى)) وأنبياءه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة)) . "٦٤"

ولعل من السنن الخاصة هي (سُنّة تمكين الكافرين) . إذ يمكنون في الأرض على الرغم من عصيانهم وقد يزدادون تمكيناً كلما ازدادوا كفراً حتى يأتي اجلهم المقدر لهم ، وتمكينهم ليس بسبب كفرهم وإنما بمقتضى سنن أخرى مرافقة لهذه السُنّة وهي اجتهادهم لحيازة الدنيا وبذل المطلوب لتسخير طاقات السماوات والأرض وذخائرها . "٦٥"
وان الفكر الإسلامي المعاصر يعتقد أن البشرية تتجه نحو مستقبل مشرق سعيد تنقلع فيه جذور الظلم والفساد.. "٦٦"

الخاتمة

بعد هذه المسيرة البحثية المضنية فكرياً ، لا بد من كلمات نختم بها ما تقدم :
إن الإنسان منذ أوجده الله ((عز وجل)) مالَ إلى الحضارات التي تلبي وتشبع تطلعاته الروحية والنزعات المادية . ورفض تلك التجارب الاجتماعية المختلفة التي تقيد روحه ، لا بل تقتلها أحياناً ، وتحجم من إمكاناته المادية . ولعل اصدق مثل معاصر لنا هو رفض التجربة الشمولية / الشيوعية في نهاية عقد الثمانينات وبداية عقد التسعينات من القرن المنصرم (العشرين) في الاتحاد السوفيتي وقبله في أوربا الشرقية وفي بقاع أخرى من العالم . وذهبت إلى البديل الموجود ، وهو ليس بالضرورة أفضل أو إنساني ، ألا وهو بديل الدولة الليبرالية . والواقع إن هذا البديل العالمي يحمل أوزاره على أكتافه ، كما هو واضح على كافة الصُعد الإنسانية _ الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها ، وسيتضح بمرور الزمن انه بديل مرير ينبغي أن ينبذ ، وستلتجئ الإنسانية إلى العيش في كنف تجربة حضارية إنسانية أخلاقية ترفع الإنسان إلى مستوى الكمال المطلق وهذا لا يكون إلا في ظل الديانات السماوية السمحاء ...



الهوامش

١_ عواطف عبد الرحمن ، الدراسات المستقبلية (الإشكاليات والآفاق) ، عدد خاص عن (الدراسات المستقبلية) ، يناير (ك١) ـ فبراير (شباط) ـ مارس (آذار) ١٩٧٨، (الكويت _ وزارة الإعلام) ، العدد ٤، ص ٧ .
٢_ د. حسن صعب ، المقارنة المستقبلية للإنماء العربي ، (بيروت ـ دار العلم للملايين) ، ط١ ، ١٩٧٩ ، ص ١٠٣ .
٣_ عواطف عبد الرحمن : مصدر سابق ، ص ٧ ـ ٨ .
٤_ المصدر نفسه ، ص ١١ .
٥_ خلدون الشمعة ، سوسيولوجيا المستقبل بين (المستقبلية) و (علم المستقبل) ، الفكر العربي ، (بيروت ـ معهد الإنماء العربي) ، العدد / ١٠ ، السنة الأولى ، ١٥ آذار ـ ١٥ نيسان ١٩٧٩ ، ص ٢١٠ .
٦_ عواطف عبد الرحمن ، مصدر سابق ، ص ١١ .
٧_ المصدر نفسه ، ص ١٣ ـ ١٥ .
٨_ خلدون الشمعة ، مصدر سابق ، ص ٢١٠ .
٩_ عواطف عبد الرحمن ، ص ٩ ـ ١٠ .
١٠_ المصدر نفسه ، ص ١٤ .
١١_ خلدون الشمعة ، ص ٢١٠ ـ ٢١١ .
١٢_ المصدر نفسه ، ص ٢١٢ .
١٣_ المستقبلية أو علم المستقبل ، الموسوعة الفرنسية العالمية ، الفكر العربي (بيروت ـ معهد الإنماء العربي) ، العدد ١٠ ، السنة الأولى ، ١٥ آذار ـ ١٥ نيسان ١٩٧٩ ، ص ٢١٦ ـ ٢١٧ .
١٤_ المصدر نفسه ، ص ٢١٧ .
١٥_ محمود عبد الفضيل ، الجهود العربية في مجال استشراف المستقبل (نظرة تقويمية) ، عالم الفكر ، (الكويت ـ وزارة الإعلام) ، عدد خاص (الدراسات المستقبلية) ، العدد ٤ ، يناير ، فبراير ، مارس ١٩٨٨ .
١٦_ المستقبلية أو علم المستقبل ، الموسوعة الفرنسية العالمية ، مصدر سابق ، ص ٢١٩ .
١٧_ المصدر نفسه ، ص ٢٢٠ .
١٨_ المصدر نفسه ، ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ .
١٩_ المصدر نفسه ، ص ٢١٩ .
٢٠_ هاني محمد خلاف ، المستقبلية بين النهج العلمي والفكر الشرقي (دراسة) ، العدد ٥٠ ، أكتوبر ـ ت١ ـ ١٩٧٧ ،السنة الثالثة عشرة ، ص ١٥ .
٢١_ مناضل جبر ، حول التوقع في السياسة (دراسة) ، شؤون سياسية ، (بغداد ـ مركز الجمهورية للدراسات الدولية) ، العددان ، ٦ ـ ٧ ، السنة الثانية ، ١٩٩٦ ، ص ١٣٧ .
٢٢_ المصدر نفسه ، ص ١٣٨ .
٢٣_ عواطف عبد الرحمن ، ص ١٨ .
٢٤_ د. حسن صعب ، ص ١٠٨ .
٢٥_ عامر إبراهيم قنديلجي ، البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات ، (بغداد ـ دار الشؤون الثقافية العامة) ، ١٩٩٣ ، ص ٢٤ .
٢٦_ محمود عبد الفضيل ، مصدر سابق ، ص ٥٨ .
٢٧_ المستقبلية أو علم المستقبل ، الموسوعة الفرنسية العالمية مصدر سابق ، ص ٢٢٠ .
٢٨_ د. حسن صعب ، مصدر سابق ، ص ١٢٥ـ ١٢٦ .
٢٩_ المصدر نفسه ، ص ١٢٧ .
٣٠_ د. عبد الرضا حسين الطعان ، تاريخ الفكر السياسي الحديث ، (بغداد ـ دار الحكمة للطباعة والنشر) ١٩٩٢ ، ص ٣٣٧ .
٣١_ المصدر نفسه ، ص ٣٣٩ .
٣٢_ د. إسماعيل صبري مقلد ، العلاقات السياسية الدولية (دراسة في الأصول والنظريات) مطبوعات جامعة الكويت ، كلية التجارة و الاقتصاد والعلوم السياسية ، ط٢ ، ١٩٧٩ ، ص ٤٥ .
٣٣_ المصدر نفسه ، ص ٥٧٣ وما بعدها .
٣٤_ د. محمود خالد المسافر ، العولمة الاقتصادية (هيمنة الشمال والتداعيات على الجنوب) ، (بغداد ـ بيت الحكمة) مطبعة الميزان ، ٢٠٠٢ ، ص ٤٣ وما بعدها .



• (الثورة العلمية والتكنولوجية) :- وهي الثورة التي أصبح فيها العلم هو القوة الإنتاجية الأولى في تحديد سيطرة الإنسان على الطبيعة ، وأخذت تعبر عن نفسها في صورة ثورة في كل من العلم والإنتاج اللذين أخذا يندمجان أكثر فأكثر في صورة الأوتوماتية : فالأوتوماتية أو الآلية الذاتية هي في الواقع لب الثورة العلمية التكنولوجية .

٣٥_د. فؤاد مرسي ،الرأسمالية تجدد نفسها ،سلسلة عالم المعرفة (١٤٧) ،(الكويت ــ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب)، ١٩٩٠، ص ١٩،ص ٢٤.
٣٦_ المصدر نفسه ، ص ١٧٧ .
٣٧_ المصدر نفسه ، ص ١٧٩ ــ ١٨٠ .
٣٨_ أمير اسكندر ، تناقضات في الفكر المعاصر (منشورات وزارة الإعلام ــ الجمهورية العراقية) سلسلة الكتب الحديثة ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٤ ، ص ١٦ ــ ١٧ .
٣٩_ المصدر نفسه ، ص ٢١ ــ ٢٢ .
٤٠_ المصدر نفسه ، ص ٢٢ ــ ٢٦ .
٤١_ المصدر نفسه ، ص ٢٧ ــ ٢٨ ، ص ٣٢ ــ ٣٣ .
٤٢_ المصدر نفسه ، ص ٣٥ ، ص ١٨ .
٤٣_ المصدر نفسه ، ص ٣٦ ــ ٣٧ .
٤٤_ المصدر نفسه ، ص ٣٨ ــ ٤٠ .
٤٥- أمير إسكندر ، مصدر سابق ، ص٤٠ - ٤٢ .
وانظر كذلك بخصوص (البراغماتية) كل من :
د. محمد فتحي الشنيطي ، المعرفة ، (القاهرة - دار الثقافة للطباعة والنشر) ، ط١ ، ١٩٨١م ، ص٢٥ وما بعدها .
د. محمد محمود ربيع ، مناهج البحث في العلوم السياسية ، الكويت مكتبة الفلاح) ، ط٢ ، ١٩٨٧م ، ص١٢٩ .
٤٦_ اسماعيل صبري عبد الله ، الكوكبة : الرأسمالية العالمية في مرحلة ما بعد الامبريالية ، في كتاب العرب وتحديات النظام العالمي ، سلسلة كتب المستقبل العربي (١٦) ، (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية) ط١ ، ١٩٩٩، ص٤٤ -٤٥ .
٤٧_ السيد يسين ، في مفهوم العولمة ، في كتاب العرب والعولمة (ندوة فكرية) ، تحرير أسامة أمين الخولي ، (بيروت _ مركز دراسات الوحدة العربية) ، ط٣ ، ٢٠٠٠م ، ص٢٨ .
٤٨_ المصدر نفسه ، ص٢٣- ٣٣ .
٤٩_ المصدر نفسه ، ص٤٣ .
٥٠ _ فرانسيس فوكويوما : نهاية التاريخ ، ترجمة وتعليق د. حسين الشيخ ، (بيروت ــ دار العلوم العربية للطباعة والنشر) ، ط١ ، ١٩٩٣ ، ص ١٥ .
٥١_ المصدر نفسه ، ص١٦ .
٥٢_ المصدر نفسه ، ص١١ .
٥٣_ صامويل هانتـغتون ، صدام الحضارات .. إعادة صنع النظام العالمي ، ترجمة : طلعت الشايب ، تقديم : د. صلاح منصور ، ١٩٩٨ ، ص ٣٧ .
٥٤_ سليم كاطع علي : مكانة الولايات المتحدة الأمريكية في النظام العالمي ــ دراسة تحليلية في الواقع والمستقبل ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية العلوم السياسية ــ جامعة بغداد ، ٢٠٠٠ ، ص ١١٣ ــ ١١٦ .
٥٥_ في الغرب أزمة اسمها : انهيار القيم (الملف السياسي) ، شؤون سياسية ، (بغداد ــ مركز الدراسات الدولية) ،العدد ٢ ،السنة الأولى ،١٩٩٤ ، ص ٢٨ ــ ٣٤ .
٥٦_ محمد فريد حجاب ، أزمة الديمقراطية الغربية وتحدياتها في العالم الثالث ، في كتاب المسألة الديمقراطية في الوطن العربي (مجموعة باحثين) ، سلسلة كتب المستقبل العربي (بيروت ــ مركز دراسات الوحدة العربية) ، ط١ ، ٢٠٠٠ ، ص ٨٨ .
٥٧_ صامويل هانتـغتون : تآكل المصالح القومية الأميركية ، ترجمة : سهيل أحمد حسين ، د. سامان عبد المجيد عبد الرحمن ، (بغداد ــ مجلة مركز الأبحاث) ، العدد / ١٤ ، السنة الرابعة ، نيسان (ابريل) ، ص ١٧ ، ص ١٨ ، ص ١٩ ــ ٢٠ .
٥٨_ جاك أتالي : انهيار الحضارة الغربية (حدود السوق والديمقراطية) ــ بحث ترجمة : د. سامان عبد المجيد عبد الرحمن ، مجلة مركز الأبحاث العدد / ١٤ ، السنة الرابعة ، نيسان (ابريل) ، ١٩٩٨ ، ص ٧ .
٥٩_ فرانسيس فوكويوما المصدر نفسه ، ص ٢٦ .
٦٠_ صامويل هانتـغتون : صدام الحضارات ، مصدر سابق ، ص ١٦٩ .
٦١_ المصدر نفسه ، ص ١٥٨ .



٦٢_ لستر تورو : مستقبل الرأسمالية (كيف تصوغ القوى الاقتصادية الراهنة عالم الغد) ، ترجمة عزيز سباهي ، (دمشق ـ دار المدى للثقافة والنشر) ، ط١ ، ١٩٩٨ ، ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ .
٦٣_ خليل مخيف لفتة (تفسير التاريخ في الفكر الإسلامي المعاصر) رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية العلوم السياسية ـ جامعة بغداد ، ٢٠٠٠ ، ص ٥٣ .
٦٤_ المصدر نفسه ، ص ٧١ ـ ٧٢ .
٦٥_ المصدر نفسه ، ص ٨٤ .
٦٦_ المصدر نفسه ، ص ١٩٨ .

قائمة المصادر

أولاً : الرسائل والأطاريح الجامعية :-
١_ خليل مخيف لفتة : تفسير التاريخ في الفكر الإسلامي المعاصر ، رسالة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية العلوم السياسية ـ جامعة بغداد ، ٢٠٠٠ .
٢_ سليم كاطع علي : مكانة الولايات المتحدة في النظام الدولي ـ دراسة تحليلية في الواقع والمستقبل ـ ، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية العلوم السياسية ـ جامعة بغداد ، ٢٠٠٠ .
ثانياً : الكتب العربية والمترجمة :
١_ د. إسماعيل صبري مقلد : العلاقات السياسية الدولية (دراسة في الأصول والنظريات) ، مطبوعات جامعة الكويت ـ كلية التجارة و الاقتصاد والعلوم السياسية ، ط٢ ، ١٩٧٩ .
٢_ العرب والعولمة (ندوة فكرية) ، تحرير أسامة أمين الخولي ، (بيروت ـ مركز دراسات الوحدة العربية) ، ط٣ ، ٢٠٠٠ .
٣_ العرب وتحديات النظام العالمي (مجموعة باحثين) ، سلسلة كتب المستقبل العربي (١٦) ، (بيروت ـ مركز دراسات الوحدة العربية) ، ط١ ، ٢٠٠٠ .
٤_ أمير اسكندر ، تناقضات في الفكر المعاصر ، (منشورات وزارة الإعلام ـ الجمهورية العراقية) ، سلسلة الكتب الحديثة (٦٥) ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٤ .
٥_ د. حسن صعب : المقارنة المستقبلية للإنماء العربي ، (بيروت ـ دار العلم للملايين) ، ط١ ، ١٩٧٩ .
٦_ صامويل هانتنغتون : صيدام الحضارات .. إعادة صنع النظام العالمي ، ترجمة : طلعت الشايب ، تقديم : د. صلاح منصور ، ١٩٩٨ .
٧_ عامر إبراهيم قنديلجي : البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات ، (بغداد ـ دار الشؤون الثقافية العامة) ، ١٩٩٣ .
٨_ د. عبد الرضا حسين الطعان : تاريخ الفكر السياسي الحديث ، (بغداد ـ دار الحكمة للطباعة والنشر) ١٩٩٢ .
٩_ فرانسيس فوكويوما : نهاية التاريخ ، ترجمة وتعليق د. حسين الشيخ ، (بيروت ـ دار العلوم العربية للطباعة والنشر) ، ط١ ، ١٩٩٣ .
١٠_ د. فؤاد مرسي ، الرأسمالية تجدد نفسها ، سلسلة عالم المعرفة (١٤٧) ، (الكويت ـ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب) ، ١٩٩٠ .
١١_ لستر تورو : مستقبل الرأسمالية (كيف تصوغ القوى الاقتصادية الراهنة عالم الغد) ، ترجمة عزيز سباهي ، (دمشق ـ دار المدى للثقافة والنشر) ، ط١ ، ١٩٩٨ .
١٢_ محمد فتحي الشنيطي ، المعرفة ، (القاهرة ـ دار الثقافة للطباعة والنشر) ، ط٥ ، ١٩٨١ .
١٣_ د. محمد محمود ربيع : مناهج البحث في العلوم السياسية ، (الكويت ـ مكتبة الفلاح) ط٢ ، ١٩٨٧ .
١٤_ د. محمود خالد المسافر ، العولمة الاقتصادية (هيمنة الشمال والتداعيات على الجنوب) ، (بغداد ـ بيت الحكمة) مطبعة الميزان ، ٢٠٠٢ .



ثالثاً : البحوث والمقالات العلمية :
١_ المستقبلية أو علم المستقبل ، (الموسوعة الفرنسية العالمية) ، الفكر العربي ، (بيروت ــ معهد الإنماء العربي) العدد / ١٠ ، السنة الأولى ، ١٥ آذار ــ ١٥ نيسان ١٩٧٩ ٠
٢_ جاك أتالي : انهيار الحضارة الغربية (حدود السوق والديمقراطية) ــ بحث ترجمة : د. سامان عبد المجيد عبد الرحمن ، مجلة مركز الأبحاث ، العدد / ١٤ ، السنة الرابعة ، نيسان (ابريل) ، بغداد ، ١٩٩٨ ٠
٣_ خلدون الشمعة ، سوسيولوجيا المستقبل بين (المستقبلية) و (علم المستقبل) ، الفكر العربي (بيروت ــ معهد الإنماء العربي) ، العدد / ١٠ ، السنة الأولى ، ١٥ آذار ــ ١٥ نيسان ١٩٧٩ ٠
٤_ صامويل هانتنغتون : تآكل المصالح القومية الأميركية ، ترجمة : سهيل أحمد حسين ، د. سامان عبد المجيد عبد الرحمن ، مجلة مركز الأبحاث العدد / ١٤ ، السنة الرابعة ، نيسان (ابريل) ، بغداد ، ١٩٩٨ ٠
٥_ عواطف عبد الرحمن ، الدراسات المستقبلية (الإشكاليات والآفاق) ، عدد خاص عن (الدراسات المستقبلية) ، يناير (ك١) ــ فبراير (شباط) ــ مارس (آذار) ، (الكويت _ وزارة الإعلام) ، العدد ٤ ، ١٩٩٨م ٠

